تلازمية الفصحى والعامية وأثرهما في عملية تعلم اللغة العربية التعليم الابتدائي في الجزائر أنموذجا

The concomitance of the fosha and the colloquial and their effect in the process of learning the Arabic language The primary education as a example

خثير عيسى

جامعة بلحاج بوشعيب عين تموشنت

aissa22khatir@gmail.com

تاريخ الاستلام:2021/06/15 تاريخ القبول:2021/11/05 تاريخ النشر:2023/03/30

ملخص:

إنّ إتقان لغة ما كتابة ومحادثة يتعزز بالممارسة والاستعمال والتوظيف، فقد حثت كل النظريات التربوية والتعليمية الحديثة على أهمية الاستعمال في التمكين للغة وتوظيفها، على أن تكون تلك اللغة في كل مرحلة من مراحل التعلُّم بسيطة ومتدرجة في تلقين المتعلم اللغة وفيه من التوافق مع ذهن المتعلم، وخاصة مع بداية اقتحام مقاعد التعلم من لدن المتعلمين في التعليم الابتدائي؛ لأنّه قادم من وسط لساني يختلف عمّا سيتعلمه في المدرسة .

والواقع أن التباين بين الفصحى والعامية قد يتم اكتشافه لدى المتعلم في بداية درجه في التعلُم، مما يشكل صعوبات في الاستيعاب السليم للغة الفصحى، فيصبح هذا التزاحم بين الفصحى والعامية من مشاكل التعلم لدى المتعلم، فهذا الطفل المتعلم يجد صعوبة في التوفيق بين نمطين متقاربين من التعبير، أحدهما عامي يألفه في الاستعمال، والآخر فصيح يتلقى مبادئه على مقاعد الدراسة، مما يجعل المتعلم المبتدئ يجنح إلى النفور من التعلم أو يخلط بين الاستعمالين، ثم يستعمل الكثير من التعبيرات العامية في حياته العملية أو التعليمية .

وهذه الثنائية قد تعيق تطور المتعلم، مما يستدعي بذل الجهد التربوي والنفسي واللغوي في تخطي هذا التلازم في يسر، لذلك سنحاول في هذه المداخلة أن نكشف عن هذا التلازم بين الفصحى والعامية وتبيان حقيقته اللسانية في المدرسة الجزائرية، ثم كيفية معالجته وتقويمه وتحصين المتعلم من تهجين الفصيح ؟ وتفصيح العامي ؟

الكلمات المفتاحية: تلازمية ، اللغة ، الفصحى ، العامية، التعلم.

Abstract:
The mastery of a language in writing and speaking is enhanced by practice, use and employment. All modern educational theories have urged the importance of using the language in enabling and employing language, provided that that language in each stage of learning is simple and gradual in the learner's indoctrination of the language and in it compatibility with the mind of the learner, Especially with the beginning of the storming of the learning benches of the learners in primary education; Because it comes from the midst of my tongue is different from what he will learn in school.

In fact, the discrepancy between fosha and colloquial may be discovered by the learner at the beginning of his degree in learning, which poses difficulties in the proper comprehension of formal language, so this crowding out between fosha and colloquial language becomes one of the learning problems of the learner, so this educated child finds it difficult to reconcile two similar styles of expression One of them is a colloquial who is familiar with usage, and the other is an eloquent who receives his principles on the study bench, which makes the novice learner tend to dislike learning or confuse the two uses, then use many colloquial expressions in his practical or educational life.
This duality may hinder the development of the learner, which calls for the educational, psychological and linguistic effort to overcome this association in ease, so we will try in this intervention to reveal this correlation between classical and colloquial and explain his linguistic reality in the Algerian school, then how to treat and correct it and immunize the learner from hybridization of the classical ? And eloquent public speaking?
Keywords: concomitance; language; fosha; colloquial; education

1- توطئة :

اللغة العربية جديرة بواسطة ما تملكه من قوة في ذاتها أن تخترق المألوف وتصنع الرّقي الفكري للأمة الجزائرية وأن يكون لها ريادة في مجالات الحياة، فهي لغة الاشتقاق والنحت والتعريب، فبالإمكان لها كغيرها من اللغات أن تؤدي رسالتها الإنسانية والدينية والاجتماعية والثقافية، وهدف اللغة الإنسانية هو التواصل، فكل لغة تؤدي وظيفة تواصلية تعد في عرف اللسانيات الحديثة لغة جيدة، وقد يرى بعضهم بأن الخطر المتعاظم هو هذا التجاور بين الفصحى والعامية، ويرى آخرون بأنها ظاهرة طبيعية لا تستدعي الخوف والتبرّم منها؛ لأنّ لكل لغة لهجات ترافقها في مسيرتها، واللغة العربية الفصحى رافقتها العديد من اللهجات وبقيت الفصحى تواصل مسيرتها الحضارية والثقافية والفكرية والإنسانية، وقضية التعليم هي قضية حضارية وإنسانية أكثر شمولا،ولقد أدركت النخبة الوطنية أهمية التعليم باللغة الوطنية، اللغة العربية بأنّها تحقق الأمن اللغوي .

والالتزام باللغة العربية في التعليم الابتدائي بالجزائر يعد من قضايا الأمة، لأنّ الفصحى لغة في الاستعمال ليست هي اللغة الأولى ويحرص المعلمون على اكتساب الطفل للغة بعيدا عن الاعوجاج والتهجين اللغوي، وتلقين المتعلم الفصيح من لغته نطقا وكتابة، وإن كانت اللغة العربية لغة معربة، مما يصعب على المتعلم اكتسابه اللغة في بداية الطور من التعليم، أما العامية فهي لغة قد سقط منها الإعراب فقد أصبحت الفصحى في الجزائر لغة الخاصة من المثقفين وتوظف في مناسبات وأماكن التعليم والتدريس ومراكز الثقافة وغيرها من المواضع التي تتواجد فيها الخاصة والازدواجية هي من « مصطلحات علم اللغة الاجتماعي تشير إلى استخدام لهجتين في المجتمع الواحد ولكل منهما استعمالاته الخاصة وإذا كانت إحداهما تسمى الفصحى فإن الأخرى تسمى العامية نسبة لانتشارها بين عامة الناس، وتستعمل الفصحى في الأغراض الدينية، والبرامج الإذاعية، والأدب الجاد، وبذلك تحتل مكانة سامية، بينما العامية تعتبر لغة غير رسمية »[1]، مما يجعل المتعلم بين لغتين أو بين لهجة مستعملة في مساحات من حياة المتعلم والأكثر استعمالا، وفصحى محددة في أمواضع خاصة .

وقد أصبح لدينا مستويان لغويان رئيسيان : الفصحى وهي النموذج اللغوي الذي نتعلّمه، والعامية وهي النموذج اللغوي الذي نكسبه اكتسابا ويستحوذ على البرنامج اللغوي الأول في الدماغ لدى الناطقين بالعربية. وجرى العرف بأن الفصحى مواقع ووظائف هي مواقع المدوّن والثقافي والرسمي، وللعامية مواقع ووظائف هي مواقع الشفاهي واليومي.[2] والعامية لا تحل محل الفصحى ولا تأخذ مكانها الثقافي والفكري والعلمي، والعامية القريبة من الفصحى لا توجد في جميع مناطق الجزائر، قد تكون مناطق الريف والصحراء فيها من نقاء الفطرة تقترب لهجتها من الفصحى، « واللهجات الجزائرية موجودة كلّها موجودة في اللهجات العربية القديمة، وأنّ ما نظنّه غير عربيّ معظمه عريق في الفصحى، إنّما دخله تغيير ظاهر وخفيّ لا يدركه السامع إلاّ بإعمال الفكر والرّجوع المستمرّ إلى المعاجم العربيّة وغير العربيّة وإلى الدراسات المتخصّصة، وقد تتغير دلالة اللّفظ الفصيح بالتوسع والمجاز والكناية والتهكّم وغير ذلك من أساليب البلاغة. تتغيّر ضرورة لأداء معنى جديد يتطلّبه العصر أو الحاجة أو للجهل بأصلها في اللغة الفصيحة.»[3]، ففي العامية الجزائرية من الآليات اللغوية التي تمتلكها الفصحى سواء في أصواتها أو بنيتها الصرفية أو التركيبية ، وتتخذ الفصحى صفة لكل لغة أدبيّة، في مقابل اللّغة العامية التي تستخدمها الطّبقات الشعبية في شؤونها اليوميّة.[4]

2- مفهوم التلازم اللغوي :

وردت لفظة " لَزِمَ " في العديد من المعاجم اللغوية ومنها لسان العرب لَزِمَ الشيءَ يلزمه لَزْمًا ولازَمَه ولزوما ولازمه ملازمة ولِزاما وألزمه إيّاه فالتزمه، ورجل لُزمة، يلزم الشيء فلا يفارقه، واللَّزْمُ، فصل الشيء، يلزم الشيء فلا يفارقه،[5] واللازم ما يمتنع انفكاكه عن الشيء[6]،واللزوم هو يستعمل بمعنى امتناع الانفكاك اصطلاحا، وبمعنى التبعية لغة..، فيقال لزم فلان بيته: إذا لم يفارقه ولم يوجد في غيره، ومعنى اللزوم للشيء عدم المفارقة عنه، ومنه قولهم " الباء لازمة للحرفية والجرّ، وأم المتصلة لازمة لهمزة الاستفهام، والكلمات الاستفهامية لازمة لصدر الكلام، وقد من لوازم الفعل، فمعنى لزوم شيء عن شيء كون الأول ناشئا عن الثاني وحاصلا منه، لا كون حصوله يستلزم حصوله، وفرق بين اللازم من الشيء، ولازم شيء بأن أحدهما علة الآخر في الأول خلاف الثاني.[7] وفي

المفهوم الاصطلاحي لا نكاد نعثر على اتفاق لمعنى التلازم اللغوي، فهناك خلاف بين التلازم النحوي والتلازم الصرفي والتلازم البلاغي، وإذا كان المعنى يمدنا إلى الاتصال والاقتران، فإنّ التلازم اللغوي بين الفصحى والعامية، اقتران لفظة بأخرى ويصحابها.

والتلازم اللغوي لا يعني الثنائية اللغوية أو الاستصحاب اللغوي وإنما هو ذلك التقارب اللغوي بين العامية والفصحى؛ ليصبح تفصيح العامي، بحيث يتمكن المتعلم من فهم المعنى اللغوي بيسر؛ لأنّه سبق له وأن استعمله بأداء خاص في البيت وفي محيطه، وإن غيّر في مكوناته الصوتية أو الصرفية أو النحوية أو المعجمية، وعندها لا يشعر المتعلم بأنّه تحوّل إلى لغة أخرى مخالفة ومغايرة لما تعوّد عليه، وإن كان هذا التحوّل موجودا إلا أنّ سماع ألفاظ لغوية من المعلم وفي الكتاب المدرسي، قد سبق وأن طرقت الاستعمال لدى المتعلمين من شأن ذلك أن يقلل مساحة الخوف لدى المتعلمين بأنّهم يباشرون مع بداية تعلمهم لغة غير ما ألفوا سماعه واستعماله .

3- مفهوم الفصيح :

الفصيح يمثل اللغة الأدبية والراقية والعالية، والفصيح من اللغة ما يمثل البيان والوضوح، والسهولة والبعد عن التعقيد وهي تلك اللغة التي لا تشوبها شوائب هجينة في أصواتها وتراكيبها، ونكتفي بما أورده ابن الأثير(ت 637هـ)، في تعريفه للفصاحة بأن الكلام الفصيح هو الكلام « الظاهر البين، وأعني بالظاهر البين أن تكون ألفاظه مفهومة ولا يحتاج في فهمها إلى استخراج من كتاب لغة، وإنما كانت مألوفة، دائرة في الكلام دون غيرها من الألفاظ لمكان حسنها، وذلك أن أرباب النظم والنثر غربلوا اللغة باعتبار ألفاظها وسبروا، وقسموا، فاختاروا الحسن من الألفاظ، فاستعملوه ونفوا القبيح منها، فلم يستعملوه. فحسن الألفاظ بسبب استعمالها دون غيرها، فالفصيح، إذاً، من الألفاظ هو الحسن»[8]، فالفصحى تتميز بمجموعة من الخصائص التي تمكنها من السيادة والقوّة الموحدة التي تصبغ أصحابها بالصبغة الاجتماعية والثقافية، ورقعة الفصيح تتقلص وتتسع حسب الظروف والمحيط، " فبعد أن شملت أكثر الأراضي العربية قبل الإسلام بدأت تتضايق شيئا فشيئا بحكم اختلاط العرب بغيرهم في شبه الجزيرة نفسها بعد ظهور الإسلام"[9]

4- مفهوم العامية :

العامية تمثل لسان عامة الناس، وهي التي انحرفت عن اللغة الفحصى المعيارية صوتيا وصرفيا ونحويا ودلاليا ومعجميا، والعامية غير قابلة للكتابة لا تمتلك القدرة على تمثيل الفكر والثقافة وهي « لغة شائعة على لسان الشّعب في استعماله اليومي، وهي ظاهرة شائعة في معظم اللّغات، غير أن الفوارق بين لغة الشعب، أي العاميّة، واللّغة الكتابيّة، أي التي يستعملها المثّقفون تختلف باختلاف اللّغات والأمم الناطقة بها. »[10]، ومن ذلك كثرة اللّهجات في اللغة الدارجة الجزائرية، وعلى جميع الأصعدة أيضا، ويمكن ملاحظة هذا التنوع اللهجي في مختلف المدن والمناطق الجزائرية، واللهجات الجزائرية موجودة كلها في اللهجات العربية القديمة، وما يبعد اللهجة الجزائرية عن الفصيح هي ظواهر صوتية وصرفية وإدراج ألفاظ غير عربية في الاستعمال هو من التهجين اللهجي، وليس من اللهجة الجزائرية تلك التي نسمعها في أحاديث النساء والأطفال وفي مختلف المدن والأرياف.[11]

5- التلازم اللغوي وأثره على التعلم :

يطرح وجود لغة فصحى إلى جانب لغة أخرى عامية في المجتمع مشكلة أمام الطفل، في سنيّ حياته التعليمية الأولى، فهذا الطفل يجد صعوبة في التوفيق بين نمطين متقاربين من التعبير: أحدهما عامي يألفه في الاستعمال اليومي، والآخر فصيح يتلقّن مبادئه على مقاعد الدراسة، وقد حاول الدكتور عبد الفتاح الزين رصد الأخطاء الإملائية التي تشيع بين المتعلمين في المرحلة الابتدائية، واستطاع الوصول إلى استنتاج مؤدّاه أن الازدواجية التي يصطدم بها المتعلم في مجتمعه تساهم في جنوحه إلى الخطأ الإملائي، بفعل خلطه بين ما يستعمله من صيغ تعبيرية عامية في حياته العملية، وبين ما يقابلها من تعابير تؤدي معناها في اللغة الفصحى، والأطفال ميّالون إلى اعتبار العامية نموذجا يقارنون به نطقا وكتابة كل اللغات الطارئة عليهم بما فيها العربية الفصحى[12].

إن وجود ثنائية لغوية ركناها الفصحى والعامية أمر مألوف في كل لغات الشعوب، ولكل منهما ميدان استعمال متمايز عن ميدان استعمال الأخرى، واللغة العامية كثيرا ما تكون أصولها منحدرة من اللغة الفصحى، وقد توصل الدكتور أحمد أبو سعد إلى نتيجة مفادها أن اللغة العامية في بعض البلدان العربية هي لغة أصيلة تعرضت مفرداتها لمؤثرات

النحت، والقلب، واللحن، والإبدال، والزيادة، والاختزال، والتصحيف، والتحريف، حتى وصلت إلينا بهذا الشكل المشوّه الذي يجعلنا نتوهم للوهلة أولى أنها لغة مستقلة عن اللغة الفصحى التي نستعملها في الأدب[13]، وللفصحى علاقة بالعامية في بعض المستويات اللغوية وقد تكون العامية فرعا عن الفصحى، والعامية وإن كانت لا تصلح للتعليم؛ لأنّها ليست لغة الثقافة والفكر ولا تحمل رصيدا علميا وأدبيا، ولكنه تؤدي وظيفة التواصل محدودة في بيئتها المحدودة، وقد يجمع بين الفصحى والعامية لغة وسطى تساعد في عملية التعلّم.

1-5- العربية الفصحى بالمدرسة الجزائرية :

يتساءل الكثير من الباحثين اللغويين في الحقل التعليمي في الجزائر إن كانت اللغة العربية الفصحى لغة أمّ ؟ فهي عند بعضهم ليست لغة أم؛ لأنّها لا تسمع في الحياة اليومية ولا في البيوت، بل يتم تعليمها في المدرسة، وكون لهجاتها مستوى أدنى يمكن عدّها لغة أم باعتبار التقارب الدلالي والصوتي والجذري وكذلك بحكم دستوريتها ومؤسّساتها أضحت اللغة الأم الثانية بالقوة بعد الدارجات[14]،إذ يزدوج الأداء اللغوي بحيث تحدث هوّة بين اللغة الرسمية التي هي لغة الفصاحة ولغة الوقار والجدّ فتحتل مكانة الرمز العالي للهوية القومية، وبين اللغة التداولية التي يتوسل بها الناس في حياتهم، ولكن اللغتين تظلان منتميتين إلى فصيلة تركيبية واحدة.أمّا في حالة الوضع اللغوي العربي فإن العاميات المتولدة من العربية قد فارقتها في أنظمتها الذاتية أصواتا وتراكيب ودلالات، ولكنها فارقتها في نفس الوقت بأن خرجت من حضيرة اللغات الإعرابية والتحقت بصنف اللغات غير الإعرابية[15]، وبعدها تعقدت الحياة اللغوية لدى العرب وأصبحت الفصحى هي العربية الشائعة الاستعمال لدى الكتّاب في المصنفات، والجرائد، والمجلات، والإذاعات، وعلى ألسنة المحاضرين، والأساتذة، وهي اللغة التي توارثها العرب، منذ العصر الجاهلي، وانتقلت إليهم بعد أن طرأ عليها، خلال الأعصر، تبديل وتعديل، وزيادة في مفرداتها وتعابيرها، مع احتفاظها بأسس ثابتة من حيث القواعد الصرفية والنّحوية، وقد حافظ عليها، مع تقادم الزمن، حبّ العرب لها ونزول القرآن بها.[16]، والفصحى هي الوسيلة الوحيدة للرّقي بمستوى لغة الخطاب بشرط أن تكون وظيفيّة لصيقة بالحياة اليوميّة،

ملبيّة لمتطلّبات العصر، وأن تؤسس في تعليمها على قواعد علميّة تجعلها سهلة المنال، وهي خير صلة بين الناطقين بها وبينها وبين العاميّات العربيّة مهما كانت وأنّى كانت، بشرط أن تكون مبسّطة مشتركة خفيفة على المتكلّم والسامع[17]،ولهذه الثنائية انعكاسات كثيرة على المكتسبات اللغوية في الفصحى والعامية خاصة، وعلى التنمية الاجتماعية بصورة عامة، وتتجلى الحالة الأولى في قلة استفادة الطفل من مكتسباته اللغوية السابقة، أي من عاميته، عندما يدخل إلى المدرسة، لسببين، أولاهما اختلاف المستويين اللغويين من حيث البنية والدلالة، وثانيهما ضعف التأطير الذي يستطيع أن يثمن ما في لغة الطفل من فصيح.[18]

2-5- اللغة العربية في منهاج التعليم الابتدائي :

عند التخطيط التربوي والتعليمي توضع المناهج التعليمية لتنظيم هذه العمليات، وبما أنّ المنهاج وسيلة تعليمية منظمة، يسعى إلى وضع المحتوى والطرائق وأدوات التقويم للعملية التعليمية، ويحدد كذلك الأهداف والغايات ويضع المضامين، ويحدد منهاج اللغة طبيعة تدريس اللغة العربية لأن؛ « اللغة حاضنة الفكر والهوية وواسطة الاتصال والتواصل، والمعايير في التربية ضمانة سير العملية التعليمية التربوية وفق منهجية تضمن سعيها لتحقيق أهداف تعليمية مدروسة، وموضوعة بمنهجية تتناسب ومتطلبات العمل التربوي التعليمي »[19] وقد حدد المنهاج الغايات التي يسعى إليها في تعليم اللغة العربية لأنّه يهدف إلى إكساب المتعلّم أداة التواصل، وتعزيز رصيده اللغوي في محيطه الأسري والاجتماعي مع تهذيب لغة الاستعمال والتواصل والتوظيف، والمنهاج يركز على التعبير لدى المتعلم ويحسّن قدرة الاستماع لدى المتعلم، وينص المنهاج على التمكين للمكتوب وتطوير الإنتاج الكتابي[20]، ويحدد المنهاج مدخلات ومخرجات تعلم اللغة العربية، وتبقى اللغة العربية الفصحى في المدرسة الجزائرية تمثل المركز، والاستعمالات الأخرى توصف بالشذوذ والدونيّة والخروج عن المعيار، وهو ما ينطبق على اللهجات العامية[21].

3-5-الكتاب المدرسي للغة العربية في التعليم الابتدائي :

الكتاب المدرسي وثيقة مرافقة للمتعلم به المحتوى الذي يقدم إلى المتعلم والبرنامج الدراسي، وإن كان البرنامج يختلف عن المحتوى، وهو من الوسائل التعليمية؛ لأنّ لغة

التلميذ « تكمن في المقام الأول في الكتاب المدرسي، ومن هنا وجب الاهتمام به لأداء وظيفته المتمثلة في تبليغ المعرفة ودعم المكتسبات وتقويمها وأداة للتثقيف وحصول الملكة اللغوية »[22]، والكتاب المدرسي من وسائل التعلم، فله الدور البارز في عملية التعلم والتعليم وظيفيا، ويمنح تعلما ذاتيا فبه يكتسب المتعلم عدة مهارات في القراءة والكتابة والمطالعة، ويمنح كذلك للمعلم المعلومة المنظمة، والتخطيط والتنفيذ؛ لذلك يحظى الكتاب المدرسي باهتمام السلطة التعليمية،بحيث تسعى لتنفيذ منهجها الدراسي[23]،ويرافق الكتاب، كتاب لغتي الوظيفية فيه من التطبيقات اللغوية والجوانب الوظيفية للغة إملائيا وصوتيا وصرفيا وتعبيريا، ويهتم بالمهارات اللغوية التي يستخدمها المتعلم في الحياة ولقضاء أغراضه .

5-4-اللغة العربية والجيل الثاني :

الواقع اللغوي في الجزائر متعدد اللغة، ودرجة الاستعمال اللغات ليس متماثلا؛ حيث تهيمن الدارجات الجزائرية على السوق الشفوية، وتحقق تواصلا بين المجموعات اللغوية المختلفة؛ واللغة العربية الفصيحة واللغة الفرنسية تستعملهما أقلية من المثقفين وفي قاعات الدروس والأمازيغية تستعمل في مناطق عدة من الوطن شفاهيا ولها مجالاتها العامة..، وهكذا فإنّ الطفل الجزائري يكون مزوّدا بنسق لغوي خليط قبل دخوله المدرسة؛ عربية دارجة أو أمازيغية ..، وعلى العموم فإنّ العربية الفصحى عندنا الآن صناعة فهي علم بكيفية، ولا نفس كيفية، فليست نفس الملكة، وإنما هي بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع،ولا يحكمها عملا، والطفل على مقدار ما يسمع من العجمة.[24]، لذلك يحاول منهاج الجيل الثاني مواكبة الطفل بما يحمله من استعمالات لغوية متباينة ومرافقته لغويا، والجيل الثاني الجديد يمثل تحديا معرفيا وثقافيا ولغويا، الجيل الثاني هو انطلاق نحو آفاق رحبة من الرقمنة والتواصل عن طريق وسائل التواصل الاجتماعي، جيل التكنولوجيا وتحدي العولمة، وهو جيل يختلف في لسانه وطموحه وأفكاره عن الأجيال السابقة، وتكسب المتعلم معجما لغويا يلبي حاجاته العلمية، وفق ما يرافقه في حياته اليومية سواء داخل مجتمعه الصغير الأسرة أو بين مؤسسات محيطه الذي يعيش

فيه وحتى نحو ارتباطه بالعالم الخارجي عن طريق الشبكة العنكبوتية، فتنمية استثمار المتعلم بلغته العربية، ينطلق من الاستثمار المنطوق والشفوي والمكتوب.

والمنهاج الجيل الثاني يحاول « تسليط الضّوء على الاحتياجات الحقيقية للمتعلمين وأسرهم يتطلب تحديد الأولويات والاختيارات الملائمة برؤية واعية .»[25]، وهذه الاحتياجات المتباينة في المجتمع الجزائري، تظهر في الحمولة الثقافية التي يحتويها المنهاج، أما عن اكتساب اللغة العربية وذلك يكون من خلال:

خلال النّشأة والممارسة في بيئة معينة .

الاكتساب من خلال الحفظ والتّكرار والتّمرّن .

التّدرج والانتقال من البسيط إلى المركب وليس المعقد .[26]

تدرج العديد من الكلمات في كتاب التعليم الابتدائي منه كتاب لغتي الوظيفية مرفقة بالصور، فكل كلمة ترافقها صورة وفي هذه المرحلة من التعليم الابتدائي يبني المتعلم رصيدا جيدا من الكلمات البصرية التي تساعدهم على القراءة الواعية والسريعة والدقيقة في الوقت نفسه[27]

5-5- التلازم اللغوي ودور المعلم:

ينطلق المعلم من الرّصيد اللغويّ للتلميذ، الرصيد المعدّل، المشترك بين الفصحى والعاميّة، المنتقى من محيطه، المناسب لعصره ولمستواه الذهنيّ وليوله الطبيعيّة، مع إثرائه بما يفتقر إليه من ألفاظ الحضارة، ولا يوفر ذلك إلا الكتاب المدرسيّ المقرّر لكلّ سنة، المرفق بإرشادات تربويّة تساعد المعلّم على القيام بمهمته.[28]، ويهتم المعلم في تعليم المتعلمين في المرحلة الابتدائية وبالأخص في السنة الأولى ابتدائي المنطوق فيمارس الشفوي في جميع الحصص؛ ليتدرّج في الكتابي بعدما يتمكن شيئا فشيئا من الكتابة ، ويستعين المتعلم بوسائل متعددة في تعليمية اللغة العربية منها الصورة لإيضاح العديد من الألفاظ ومقاربتها ذهنيا وحسيا للمتعلم، فدور المعلم هو تقليص حجم المعجم العامي الذي يتزود به الطفل المتعلم وإذابة تلك الفوارق اللهجية، بوسائل بيداغوجية تساعد اكتساب اللغة في الاستعمال السليم .

6- التلازم اللغوي في تعليمية المعجم والتركيب :

من المعلوم عن الطفل اكتسابه اللغة في مراحله الأولى من حياته من خلال محاكاة والديه، فالطفل يكتسب اللغة من خلال من يتواصل معهم في البيت، فهو يسمع كلام الآخرين ويعمل على مجاراته ومحاكاته، وفي البيت تستعمل العديد من الألفاظ القريبة من الفصحى أو أنّها من الفصحى وانزاحت عنها بتغييرات صوتية أو صرفية أو دلالية ، ففي البيت نقول: السّاطور، والكُلاب، والمشوي، والمسْلَخ، والفانوس، والقادّوس، والمخيط، والمِرْود، والطّبل، والزّمارة، والمْرايَا، والدْوَا، وفي البيت الجزائري لا نعثر على تماثل وتناغم في استعمال اللغات " العاميات "فلا توجد عامية واحدة بل عاميات مختلفة في الاستعمال اللفظي والدلالي، ولكن تتقارب الكثير من العاميات الجزائرية في المعجم اللغوي، وفي استعمال بعض الأدوات اللغوية وخاصة في الضمائر وطريقة توظيفها في التذكير والتأنيث والإفراد والتثنية والجمع، إلا بعض المناطق من الجزائر نلاحظ مخالفتها للاستعمال المقابل للفصحى، من ذلك تأنيث المذكر على نحو ما نجده في استعمال بعضهم : أَنْتَ يقولون أنْتِ، يميلون إلى الكسر، والكثير من الألفاظ تتكاثر في الاستعمال داخل البيت وحتى خارجه فإنّ لفظ " بَاشْ " تدخل كثير في المكالمات، وتعني في أغلب الأحوال (سوف) أو (رايح)، ولكنها تقوم في بعض الأحيان مقام لفظة " أن "، فيقولون (باش أجي)، بمعنى سوف أجيء، أو بالأحرى (رايح أجي)، كما يقولون (باش أسافر)، بمعنى (رايح أسافر)، ويقولون ـ مثلا ـ (طلبوا من فلان باش يعمل كذا وكذا).

وعند المتكلم تسقط أل التعريف، فإن قواعد اللغة العربية المدونة لا تتضمن شيئا مقابل ما يسمى " أداة الإضافة "؛ فإن المضاف في ـ اللغة الفصحى ـ يلتصق بالمضاف إليه التصاقا مباشرا، ولا يختلف عن المضاف إليه بالإعراب، ولكن الناس في جميع الأقطار العربية لا يراعون هذه القاعدة في أحاديثهم ومحاوراتهم الاعتيادية، ويدخلون بين المضاف وبين المضاف إليه " كلمة " تقوم مقام " أداة الإضافة " والكلمة التي يستعملها الناس لهذا الغرض، تختلف من قطر إلى آخر[29] وفي الجزائر نقول مثلا : كتاب نتاع محمد .

يسمع المتعلم كلمات من بيته في المدرسة فيطمئن ويرتاح، فنجد مثلا :" حضَّرت جدتي كأس " الشّرْبات " من الماء وماء الزّهر، وقليل من القَرْفة، وشرائح من اللّيمون،

والسّكر"[30]، وهذا الحصة تتحدث عن أول يوم في رمضان، فتطرب أذن المتعلم لأنّها من استعمالات التي توظف في البيت ، ونلاحظ هذه الكلمات، " ماما " " بابا "[31] تقريبها من الفصيح مع بعض التغييرات التي طرأت على هذه الألفاظ واستعمال الضمائر، فالطفل في البيت وفي محيطه يحسن توظيف الضمائر، فهو يقول أنا وهو وهي وهما، " أرضها مفروشة بزّرْبِيَّة ..." " سَتَائِر..ثُرَيّة ..يبدأ في إعادة استعمال ظروف المكان أو ما يدل عليها فهو له من المعرفة القبلية التي تمكنه من استيعابها " فوق، تحت، حول، داخل، أمام، على، في ..."، ويحسن استعمال الضمائر على أنواعها؛ لأنه يمتلك الكثير منها في استعماله لها في البيت أو خارج البيت، فالطفل المتعلم، ويسمع الطفل قبل أن تلج قدماه المدرسة الكثير من الضمائر، ولكنه يوظف منها القليل في استعماله العامي، فضمير المتكلم هو الأكثر توظيفا لديه، يلاحظ ذلك من حب التملك الذي يبدأ مع مرحلة من طفولة الطفل .

7-التلازم اللغوي في تعليمية الأفعال :

تدرج أفعال في البرنامج الدراسي لتعليمية اللغة العربية في جميع مراحل الطور الابتدائي، تعود المتعلم على سماعها ، فتتلازم عاميته التي درج على استعمالها مع الفصيح الذي بدأ يستقطبها .

الفعل في الكتاب المدرسي	الفعل في الاستعمال العامي	التغييرات
دَخَلَ	دْخَلْ	من التسكين وغياب الإعراب إلى الفتح والإعراب
رَبَطَتْه	رَبْطَتَهْ	تسكين الحرف الثاني وغياب الإعراب ، فتحه
نَلْعَبُ	نَلْعَبْ	غياب الإعراب
نَجْرِي	نَجْرِي	تقريبا يحافظ على نفس الاستعمال
نَأْكُلُ	نَاكُلْ	تخفيف الهمز
أَمْسَحُ	أَمْسَحْ	الميل إلى التسكين وغياب الإعراب.
أُنَظِّفُ	أْنْنَظَفْ	فك الإدغام

" دخل التلاميذ .." فالفعل دخل لا يختلف كثير عن الاستعمال العامي وكذلك في الفعل " ربط " والفعل " مل" وغيرها من الأفعال ربطته سلمى ...، ألم تَمُلِي من اللّعب طوال نلعب ، نجري، نأكل، أكنس، أمسح، أنظّف، بينما نجد بعض الأفعال توضع للشرح حتى يفهمها المتعلم لأنه لم يسبق وإن سجلها في معجمه اللغوي في بيته .

8- التلازم اللغوي في تعليمية الأصوات :

يأتي المتعلم إلى المدرسة وهو مزود بمكونات صوتية، وتظهر التغيرات الجديدة للتعلم مع بداية تعلمه للحروف ونطقها، فالصوامت قد يكون بينها من التقارب الصوتي في نطقه للغة التي درج عليها ورضعها في البيت أو في المحيط الاجتماعي لأنّ الصوامت كما يقول علماء الأصوات تتعرض لتغييرات في نطقها إذ يتعرض مخرجها لتأثيرات خارجية بيئية .

فيكتشف المتعلم بعض العلائق الصوتية بين الأصوات المتقابلة التي وضعت له، في كتاب لغتي الوظيفية كل صامت يقابله صامت آخر يتقاطع معه في المخرج وفي بعض الصفات، فتوضع أمامه الأصوات العربية للتحدث والاستماع إليها، ثم قراءتها والتعود على رسمها، فتنتظم الأصوات في مجموعات، وما نلمسه في الكتاب المدرسي المقرّر للمتعلم، هو ثنائية الأصوات المتقاربة مخرجا وصفة «يتعلم الطلاب في الصفوف الابتدائية تمييز الكلمات المطبوعة وتهجئتها إلى مهارات تكون عماد القراءة المستقلة. كما يكتشفون الارتباط بين صوت الحرف وأسمائها مما يساعدهم على تهجئة الكلمات غير المألوفة .»[32] ،وهذا ما نلاحظه في "كتابي في اللغة العربية لغتي الوظيفية السنة الثانية"، من أركان الدرس اللغوي، ركن أقرأ وأميّز، فهنا يهتم المتعلم بنطق الصوت ويستعمل أصوات متقاربة في المخرج والصفة، ومن ذلك نجد هذه الاستعمالات في تمييز ونطق الاصوات المتقاربة في الكتاب المدرسي،

سريرها	س	مسْمار،	تحية	ت	تِين
يلزمها	ز	مزْمار،	عطلة	ط	طِين

فبين نطق السين والزاي في العربية تقارب وكذلك في العامية فبعضهم يشرب صوت السين زايا، فهناك من ينطق الزّايَ " ز" : [z] سِيْنًا " س " [s] ، والسّبب في ذلك أنّهما يشتركان مخرجا وفي جميع الصفات إلاّ صفة الهمس، فهي في السين " س " وليس في الزّاي " ز " فلولا صفة الهمس لكانت السّين زايا ، والزّاي سيْنًا ، فيجب على القارئ أن يميز بينهما لأنّ الخلط بينهما قد يغيّر في المعنى.[33]

***جدول توضيحي للأصوات المدرجة في الكتاب المدرسي للمرحلة الابتدائية :**

الأصوات الواردة في الجدول، تدرج في تعليمية الأصوات والكلمات التي تحمل هذه الأصوات، وهي أصوات متقاربة في المخرج والصفة، مما يدل على الاستعمال العامي لهذه الأصوات ومحاولة تقريب الصوت العامي إلى الصوت الفصيح في الكلمات عند نطقها.

الصوت في التعلم	الصوت في التعلم	التقارب العامي للصوت
ظ	ذ	يوجد في الاستعمال العامي خلط بين صوتي " الظاء" و"الذال" لتقارب الصوتي بينهما فيقولون :" محظور" " ومحذور " فيخلطون بين الاستعمالين.
ش	ج	" الشين " و" الجيم " يخرجان من وسط اللسان، والفرق بينهما، الهمس للشين ، والجهر للجيم، وفيه من التقارب الصوتي حين نسمع لنطق العامة في الكلمات التي فيها صوت الشين أو الجيم، مشتمع بدل من مجتمع .
ز	ص	تنطق " الزاي " " صادا " لاشتراكهما في المخرج ، وتنطق " الضاد " زايا في بعض المناطق الصحراوية ومنها منطقة " التوات بالجنوب الجزائري .
ض	ذ	يقع في العامية في نطق الاطفال خاصة إبدال " الضّاد" "ذالا" ، فيقولون " تضكر" بدل" تذكر"

		وتضّوق" بدل " " تذوق" و"ضق" بدل " ذق "
ق	ك	تصير " القاف" اللهوية، " كافا" حنكية ، فبدل ما يقول الطفل، يقول ، يقول " يكول " و" كلب" بدلا من " قلب "
س	ص	تبدل " س " إلى " ص " في نطق الأطفال يقولون " صورة الفاتحة،بدل من "سورة" الفاتحة ، ومصطرة بدلا من مسطرة،و" صراط " بدلا من " سراط " فالصاد والسين تشتركان مخرجا وفي صفة الرخاوة والصفير والهمس.
د	ذ	يتعرّض صوت " الدال " إلى تبادل صوتي مع صوت " الذال " والضاد " كثيرا في العامية الجزائرية، فيقولون " درب" بدلا من ضرب" و"دهب" بدلا من " ذهب " و" ديب" عوضا " عن " ذيب " وداق" بدلا من " ذاق " وكداب " بدلا من " كذاب "
ح	ع	مخرج الحاء والعين متقاربان مع الصفة ، وقد تبدل العين حاء " معهم " يقولون " محم" تبدل العين حاء وهو موجود في كلام العرب، وفي نطق الأطفال .

9- الصعوبات والحلول :

تنمية القدرة اللغوية لدى الطفل المتعلم في المرحلة الابتدائية، فيها الكثير من الصعوبات ولمواجهتها والتصدي لها، يجب أن تتكاتف الجهود في التمكين للمتعلم من وضعه في وضعية تعلُمية مناسبة لقدراته العقلية والنفسية والسلوكية، وإن الدرس النحوي مازال معضلة يواجهها المتعلمون ومشكلة لا تزال تستعصى على الحل، فهي معضلة ماثلة أمام المتعلمين والمعلمين على حد سواء وعندما نبحث في أسباب هذه المشكلة نجد أن هناك عوامل عديدة منها ما يتعلق بمادة القواعد ذاتها، ومنها ما يتعلق بكتب القواعد المقررة،

ومنها ما يتعلق بمدرس اللغة العربية وطريقة إعداده ومنها ما يتعلق بطرائق التدريس المتبعة[34]

وعليه فدفع القدرة على التعبير لممارسة عملية قواعد اللغة، تساهم في قدرة المتعلمين على التعبير من شأنه أن يخفف من وطأة حفظ القواعد اللغوية، كما أنه يجعل هذه القواعد في خدمة التعبير الذي هو الغاية القصوى، والهدف النهائي من تعلم اللغة وقواعدها[35]، فتقوية الفصحى والقواعد اللغوية للمتعلمين بالمراس والحفظ وكثرة الاستعمال، كانوا « يروّون صبيانهم الأرجاز، ويعلّمونهم المناقلات، ويأمرونهم برفع الصوت وتحقيق الإعراب؛ لأن ذلك يفتّق اللّهاة، ويفتح الجِرم. واللسان إذا أكثرت تقليبه رقّ ولان، وإذا أقللتَ تقليبه وأطلت إسكانه جسا وغلطَ»[36]، وهذا يكون في مرحلة متقدمة من عمر الطفل، لأنّه تكون له القدرة على الحفظ والاستيعاب فيتزود بمعجم لغوي يسهل عليه اكتساب اللغة العربية الفصيحة.

10- الخاتمة :

إنّ التلازم اللغوي الموجود بين الفصحى والعامية، وإن كان يشكل صعوبة في تعلُم الطفل، فإنّه يمكن استثماره الاستثمار الفعّال في تحسين المستوى الأدائي لتعليم الأطفال، وفي توفير الأدوات اللغوية الممكنة للتوظيف الميّسر للغة العربية في شتى المجالات، لأنّ اللغة وظيفتها الأساسية هي التواصل، والدعوة إلى تقارب العامية مع الفصحى ليست لتهشيم الفصحى، والتقليل من دورها، فهي اللغة الرسمية والأدبية والفكرية، ولكن مراعاة مراحل اكتساب اللغة عند الطفل ينطلق من محاولات التيسير والتوفيق بين المتعلم ولغته العربية الفصيحة، فمراجعة المعجم اللغوي للعامية الجزائرية التي تنبت من الواقع العميق للمجتمع الجزائري يجده يرضع من الفصحى .

وما يمكن استخلاصه من الورقة البحثية بأنّ العامية المهذبة مطية للعربية الفصحى، وبأنّ الطفل الجزائري يَقبل على المدرسة بهذا المعجم العامي، وفيه من مكونات لغوية صوتية وصرفية ونحوية تحتاج إلى تعديل وتصويب، بيسر وأناة، والأخذ بهذا المعجم ليميّز الطفل المتعلم في المرحلة الابتدائية بين العامي والفصيح، فهم يحمل من لغته الأم أسماء وأفعال وأدوات، تقترب من الفصحى، فالكتاب المدرسي يرافق المتعلم في هذا المجال، وهو

ينطلق من البيت إلى المحيط في نصوصه ومفرداته وأصواته ، ويدعم العملية التعلمية بوسائط منها الصورة .

الهوامش:

[1] - عبد الكريم مجاهد: علم اللسان العربي، دار أسامة للنشر، عمان، الأردن، ط1، 2013م، ص 198.

[2] - نهاد الموسى: الفصحى وعامياتها بين تجليات الكائن وتصورات الممكن، أعمال الندوة الدولية التي نظمت بالتعاون مع وزارة الثقافة ضمن فعاليات الجزائر عاصمة الثقافة العربية ، بعنوان : الفصحى وعامياتها لغة التخاطب بين التقريب والتهذيب، يومي 04- 05 يونيو 2007م، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، ط1، 1429هـ / 2008م، ص 44.

[3] - مختار نويوات : الصلة بين العربية الفصحى وعاميّتها بالجزائر" المعالم الكبرى "، الندوة الدولية الجزائر عاصمة الثقافة العربية ، ص 132 .

[4] - جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار العلم الملايين، بيروت، لبنان، ط2، 1984م ص 191.

[5] - ينظر: ابن منظور جمّال الدّين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط4، 2005م، مادة " لزم" ج13، ص 195.

[6] - ينظر: الجرجاني علي بن محمد بن علي الحسيني الحنفي، التّعريفات، حققه وعلق عليه: نصر الدّين تونسي، مؤسسة القدس، القاهرة، مصر، ط1، 2007م، ص 303.

[7] - ينظر: الكفوي أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني: الكليّات، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1433هـ/ 2012م، ص 671.

[8] - ابن الأثير، المثل السائرفي أدب الكاتب والشاعر ، تحقيق : محمّد محيّ الدّين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت ، لبنان ،د.ت.ط ، 1431هـ / 2010م ، ج1، ص 112 .

[9] - عبد الرّحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر، د.ر.ط، ،2012م، ج1، ص27.

[10] - جبور عبد النور: المعجم الأدبي، ص 168.

[11] - مختار نويوات : الصلة بين العربية وعاميّتها بالجزائر" المعالم الكبرى"، الندوة الدولية الجزائر عاصمة الثقافة العربية،ص 131.

[12] - ينظر: عبد الفتاح الزين، قضايا لغوية في ضوء الألسنية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، د.ر.ط، 1987م، ص 73.

[13] - ينظر:أحمد أبو سعد، اللهجة اللبنانية في أصولها العربية، مجلة القومي العربي، بيروت، لبنان، العدد، 69، تموز،1990م، ص 42.

[14] - ينظر، صالح بلعيد: اللغة الأم والواقع اللغوي في الجزائر، اللغة الأم، مجلة تتناول مقالات في ـ اللغة الأم ـ دار هومة، الجزائر، ط2 ، 2009م ، ص 12 .

[15] - ينظر: عبد السلام المسدي، الهوية العربية والأمن اللغوي، المركز العربي للأبحاث والدراسات، بيروت، لبنان، ط1،2014م، ص 323.

[16] - جبور نور الدين: المعجم الأدبي، ص 191.

[17] - مختار الأحمدي نويوات، عن اللسان وفي البيان، ص 147.

[18] - ينظر: الطاهر ميلة، الازدواجية العربية وأثرها على انتشار الفصحى أو العربية المشتركة، الندوة الدولية، ص 185.

[19] - هنادا طه تامير: تعليم اللغة العربية المبني على المعايير، أكاديميا، بيروت، لبنان، د.ر.ط، 2011م ص15.

[20] - ينظر: وثيقة منهاج اللغة العربية، مرحلة التعليم الابتدائي، وزارة التربية الوطنية، 2016، ص8.

[21] - عادل محلّو: مدارات اللغة ، اللغة العربية في مدارات العولمة والمعارف والمجتمع، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 1438ه / 2016م، ص 69 .

[22] - صالح بلعيد: دروس في اللسانيات التطبيقية، دار هومة، الجزائر، ط8، 2017م، ص 85 .

[23] - ينظر: زكريا شعبان شعبان، اللغة الوظيفية والاتصال، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 1432ه/ 2011م، ص 65 .

[24] - ينظر: صالح بلعيد، مقاربات منهاجية، دارهومة، الجزائر، د.ر.ط، 2004م، ص 60،60

[25] - زينب بن يونس : كيف نفهم الجيل الثاني، Allure للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2017م، ص 52 .

[26] - زينب بن يونس: المرجع نفسه، ص 53 .

[27] - ينظر: هنادا طه تامير: تعليم اللغة العربية المبني على المعايير، ص 72 .

[28] - مختار الأحمدي نويوات: عن اللسان وفي البيان، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، د.ر.ت.ط، ص 88 .

[29] - أبو خلدون ساطع الحصري : في اللغة والأدب وعلاقتها بالقومية ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان ، ط2، 1985م، ص 118.

[30] - الكتاب المدرسي ،كتابي في اللغة العربية، السنة الأولى من التعليم الابتدائي، ص 125 .

[31] - الكتاب المدرسي، ص 10 .

[32] - هنادا طه تامير: تعليم اللغة العربية المبني على المعايير، ص 72 .

[33] - ينظر، رحاب كمال الحلو: قاموس الأصوات اللغوية، تاريخ وتطور ولهجات، مكتبة لبنان ناشرون،بيروت، لبنان، ط1، 2009م، ص 318 .

[34] - عمران جاسم الجبوري وحمزة هاشم السلطاني، المناهج وطرائق تدريس اللغة العربية، دار الرضوان للنشر، عمان، الأردن، ط1، 1434ه/ 2013م، ص 214.

[35] - استيتية سمير شريف، علم اللغة التعليمي، دار الأمل للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، 1990م، ص 58.

[36] - الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مطبعة الخانجي، القاهرة، مصر، ط4، 1975م، ج1،ص272.